«تبت يداك اذا تقاعستا..»

عبثا تمط بأذرع الضحكات يا وجه البشاره
عبثا تشيع الدفء في اوصال من سقطوا —
وهم أحياء ... يستجدون ... يستجدون
عبثا من الكلمات يبذرها ضرير القلب والعينين تبرق
في ضمير الليل ومضه
عبثا تفجر في عيون الورد جمره

* * *

من ذا يلطخ جبهة الاعصار بالطين المسود
من ذا يفل قوائم « الانسان » وهي تسن فوق الساعد
المحروق
فوق جماجم الاطفال —
سيف مروقها القتّال
من ذا يحاصر بالهشيم الهش في الوطن الفقير
سريان تيار الحريق الحر في سلك الورق
من ذا ينافس لعبة الشارات في كف الفسق

* * *

وقع الخيار عليك يا درع القبيله
وانا لها
ومعي من البرد المعتق في ضلوع النكبة السوداء ما يكفي —
لشل مسيرة الايام في قلب المدينه
ومعي السكينه
ومعي بقايا شعبي المسحـــوق حتى السقف فـــي
« عز الظهيره »
ووصية من والدي
تبت يداك اذا تقاعستا وسيف الثأر مسلط

* * *

حلب — **محمود علي السعيد**

الواضح اذن ، ان لوركا اراد في قصائد « ديوان التماريت » ان يعود لغرناطيته البعيدة . لكن الشاعر لم يعد يقف في منتصف الطريق بين واصف للعادات والاخلاق ، والرسام الماهر في تلوين الصـــور ، يبكي ماضيا غنت فيه البلابل ، ويلون بالدم أنهر ودروب الاندلس ... انه يعود لارضه ، لتاريخها ، لحضارتها القديمة ، في محاولة يتخلص معها نهائيا من زاده السريالي ، فتفقد هذه الغنائية الزاهية قوافيها ، واشكالها ، ولم تعد حدائق الخلفاء تسترعي انتباهه ، ورغم انه لـــم يقلد شعراء الاسلام ، فهو يستعير صناعتهم ...

نحن نتعرف من جديد الى غرناطة الكئيبة ، ونسمع من جديـــد زفرات مياهها :

في كل الامسيات في غرناطه ،
في كل الامسيات يموت طفل
في كل الامسيات تجلس المياه ،
لتتحادث مع أصدقائها .

وبالاضافة الى ذلك فان مواضيع كثيرة فـي ديـــوان التماريت، تذكرنا بالغنائية العربية ، مثل موضوع الزيارة الليلية .

لا يريد الليل أن يهبط
حتى لا تأتيـــن ،
ولا استطيع انا الذهاب .

كما ان الحان الحب في بعض قصائده ، تذكرنا بالطهارة البدوية :

دعيني في شوق لكواكب عتمه
ولكن لا تظهري خصرك الرطب

وحبيبته التي امتدت بينه وبينها الدروب ، زهرة ياسمين :

شفتاك فجر بلا حدود

وفيديريكو غارسيا لوركا ، ينافس الشعراء العرب في حبهـــم لمدنهم الاندلسية الزاهية ... فليس هناك مدن انثوية الطابع اكثـــر من المدن الاسلامية في الاندلس ، مدن عشقها شعراؤها وغنوا جمالها ، وتحسروا لفراقها ... وأبيات لوركا ليست الا تعبيرا عن سعادة الحج الى ينابيع غرناطة ، ووديانها ، وحمرائها ... ان ابيات لوركا فـــي غرناطة رائعة ، حادة الاحساس ، بجمال ماضيها وحاضرها :

غرناطة قمر ،
غارق في اللبلاب ...

وهو يتمنى ان يغتسل ويموت بدفء مياهها :

أريد أن أهبط الى البئر
أريد أن أموت ، وموتي على دفعات ،
أريد أن أملأ قلبي زبدا
حتى أرى جريح المياه

وأيا ما كان فان أقرب القصائد الى الغنائية العربية ، تبقـــى قصيدة « غزالة السوق الصباحية » : فلوركا ينتظر حبيبته في باب البيرة ، أقدم أبواب غرناطة العربية ، ليرسم جمالها :

عبر باب البيرة ،
أتمنى أن أراك تمرين
حتى اعرف اسمك
وأشرع ابكي ....
أي قمر رمادي للتاسعة
يدمي خدك ؟
من يقطف خالك
للظى في الثلج

فنحن رغم اننا نجد صورة الحب اليائس ، وصـــورة الموت ، والاجواء المحمومة « لشاعر في نيويورك » .. في قصائد « ديـــوان التماريت » ، التي تبقى شرعيا لوركية ، لا نستطيع الا أن نعتـــرف ان التحول العربي في شعر « مشعوذ الاندلس » تحول أصيل ، فـــي تلك المرحلة الاندلسية الاخيرة ، وان قصـــائد « ديوان التماريت » عربيـــة الجذور .

ناديا ظافر شعبان